إكمال النِّعمة وإتمام المِنّة على الحاج بمراعاة السُّنّة من خلال حديث:((وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةُ))
2023-06-02

الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَبْجيلًا، وَجَعَلَ فَرْضَهُ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فسبحان من أتمّ على المسلمين المنّة. وأكمل عليهم النعمة. وجعل حج بيته بين العبد والنار حجاباً وجُنَّة، ولم يجعل للحج المبرور جزاءً إلا الجَنّة. وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، دعا عباده إلى حرمه ليجزي المحسن بإحسانه ويغفر للمسيء ذنبَه. وجاء بهم حفاة عراة ليذكروا يوم القيامة وكربَه. وأوقفهم موقف العبودية ليعرف كلّ عاقل ربَّه. فمَنْ هاجر إلى بابه وَسِعَةَ كرمِه أُزيل همُّه. فمَنْ حجّ إلى بيته ولم يرفُث ولم يفسُق رجع كيوم ولدته أُمُّه. وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. السيّدُ الكاملُ في عبوديّتِه. الفاتِح الخاتِم في نبوّته ورسالتِه. أكملُ مَنْ أَمَّ البيت الحرام بحجّه وعمرتِه. وأجملُ مَنْ طاف به وجعله وجه قِبلته. وأفضل مَنْ وقف بالمشاعر ودعا لأمّته. وأجلّ من نسك المناسك وقال:((خذوا عنّي مناسكَكُم)) حرصًا على اتّباع سُنّته.

هذا المعظَّمُ خيرُ مَنْ وَطِئَ الصَّفَا * يُرجَى ويَشْفَعُ في المَعاد لِمَنْ هَفَا يا
مرتَجين مِنَ الشفيع تعطُّفًا * صلّوا على هذا الحبيبِ المصطفى

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. النبيّ الطاهر الأبرّ. وعلى آله ذوي العزّ الشامخ والنسب الأفخر. وعلى صحابته المخصوصين بالإيمان الكامل والسرّ الأبهر. صلاة تتحفنا بها برضوانك الأكبر. ونكون بها ممّن حجّ البيت وقبّل الحجر. ووقف بعرفة وحلق ونحر. وختم حجّه بزيارة سيّد البشر. سيّدنا ومولانا محمّد. صلى الله عليه وآله وسلم. وجال في مدينته الطيّبة ومتّع فيها النظر. ونال بالتبرك بآثاره الشريفة غاية الوطر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنَّ

العُبُودِيَّةَ للهِ غَايَةُ الخُضُوعِ للهِ، فَيَتَلَقَّى المُؤْمِنُ مَا أَمَرَ اللهُ وَنَفْسُهُ فِي غَايَةِ الاطْمِئْنَانِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ اللهُ مُسْتَقْوِيًا بِقُوَّةِ الإِيمَانِ؛ فَاسْتِجَابَتُهُ لِمَا أَمَرَ اللهُ عُبُودِيَّةٌ تَامَّةٌ، وَانْتِهَاؤُهُ عَمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ عُبُودِيَّةٌ تَامَّةٌ، وَذَلِكَ هُوَ المُؤْمِنُ الحَقُّ، تَتَجَلَّى فِيهِ صِفَةُ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الَّتِي ذَكَرَهُمُ اللهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ في سورة الأحزاب: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا))، أيّها المسلمون. وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ العُبُودِيَّةِ للهِ تعالى اسْتِجَابَةَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ لِنِدَاءِ رَبِّهِمُ الَّذِي أَذَّنَ بِهِ سيّدنا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: ((وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ))، فَيَقْصِدُ أَهْلُ الإِيمَانِ بَيْتَ اللهِ الحَرَامَ وَنُفُوسُهُمْ مُتَشَوِّقَةٌ إِلَى ذَلِكَ اللِّقَاءِ، يجيؤون إِلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ فِي المِيقَاتِ المَعْلُومِ؛ فَيُؤَدِّي المسلم تِلْكَ العِبَادَاتِ القَوْلِيَّةَ وَالفِعْلِيَّةَ مُتَجَرِّدًا للهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَدْ فَارَقَ الأَوْطَانَ، وَتَرَكَ المَالَ وَالأَهْلَ وَالأَوْلادَ، وَقَدْ تَقَدَّمَهُ قَلْبُهُ إِلَى تِلْكَ العَرَصَاتِ الطَّاهِرَةِ، وَسَافَرَتْ رُوحُهُ قَبْلَ أَنْ يُسَافِرَ؛ شَوْقًا إِلَى المُنَاجَاةِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ، قَدْ حَمَلَ مَعَهُ مَطْلُوبَاتِهِ رَاجِيًا الإِجَابَةَ، وَتَخَلَّصَ مِنْ كُلِّ أَوْزَارِهِ طَامِعًا فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، وَالزَّائِرُ هُوَ المَخْلُوقُ، وَالمَزُورُ هُوَ الخَالِقُ. وأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَلْمانَ الفارسي رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((مَن تَوَضَّأَ في بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أتى المَسْجِدَ فَهو زائِرُ اللَّهِ، وحَقٌّ عَلى المَزُورِ أنْ يُكْرِمَ الزّائِرَ))، وَلَمَّا كَانَ المَسْؤُولُ هُوَ العَظِيمَ كَانَ جَزَاءُ الحَجِّ المَبْرُورِ عَظِيمًا، وَمِنْ بِشَارَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِحُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ. كما في الحديث المُتَّفَق عَلَيْهِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لى الله عليه وسلم قَالَ: ((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ)). أيّها المسلمون. إعْلَمُوا رحمكم الله. أَنَّ الحَجَّ الَّذِي يَكُونُ جَزَاؤُهُ الجَنَّةَ هُوَ الحَجُّ المَبْرُورُ، وَالحَجُّ المَبْرُورُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا رَبُّنَا جَلَّ جَلالُهُ، فَاسْمَعُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ وَعُوا. قال الله تعالى في سورة البقرة: ((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ))، وَالرَّفَثُ تَرْكُ البَاطِلِ مِنَ القَوْلِ مِنْ كَذِبٍ، وَزُورٍ وَغِيبَةٍ وَنَّمِيمَةٍ وَقَذْفٍ وَبُهْتَانٍ، وَتَخْلِيصُ النَّفْسِ

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ، مُسْتَشْعِرًا المُؤْمِنُ قَوْلَ رَبِّهِ في سورة ق: ((مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ))، وَانْظُرُوا في وَصْفِ ذَلِكَ الرَّقِيبِ بِالعَتِيدِ؛ فَإِنَّ العَتِيدَ هُوَ الحَاضِرُ الَّذِي لا يَغْفُلُ عَمَّنْ يُرَاقِبُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَالفُسُوقُ كُلُّ مَا فِي فِعْلِهِ إِثْمٌ مِنَ العَمَلِ، وَتِلْكَ هِيَ المَعَاصِي الَّتِي تُورِدُ صَاحِبَهَا مَوَارِدَ الهَلاكِ إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ. ((وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ)). أيّها المسلمون. وَلا يَقِفُ أَثَرُ الحَجِّ المَبْرُورِ بِصَاحِبِهِ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ إِنَّ أَثَرَهُ يَظْهَرُ فِي سُلُوكِ المُؤْمِنِ؛ فَيَكُونُ حَسَنَ الخُلُقِ بَعِيدًا عَنِ الجِدَالِ، وَالجِدَالُ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ مُشَاتَمَةٌ وَمُغَاضَبَةٌ، وَالمُؤْمِنُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ السِّبَابِ، فَإِذَا مَسَّهُ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرَ فَإِذَا هُوَ مُبْصِرٌ، وَتَرْكُ هَذِهِ الخِصَالِ الذَّمِيمَةِ لَهُ أَكْبَرُ أَثَرٍ عَلَى صَلاحِ القَلْبِ وَغَسْلِهِ بِمَاءِ التَّقْوَى، بَلْ تِلْكَ هِيَ التَّقْوَى؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ في سورة البقرة: ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ))، وَمَنْ حَجَّ هَذَا الحَجَّ عَلَى هَذِهِ الحَالِ الحَسَنَةِ رُجِيَ لَهُ أَنْ يَفُوزَ بِبِشَارَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)). أيّها المسلمون. إنَّ الْهَدَفَ الأَسْمَى وَالْغَايَةَ الْعُظْمَى مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ الْحَج تَرْسِيخُ مَلَكَةِ التَّقْوَى فِي النُّفُوسِ، وَهِيَ خَيْرُ زَادٍ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَقَدْ أَشَارَ اللهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَمَا قَالَ فِي آيَاتِ الْحَجِّ. كما في سورة البقرة:((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)). فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَظِّمَ حُرُمَاتِ اللهِ، وَأَنْ يَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي وَسَطِ آيَاتِ الْحَجِّ من سورة الحج:((ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)). وَلَنْ يَنَالَ اللهَ مِنَ الْحَجِيجِ مَالٌ أَنْفَقُوهُ، وَلا جُهْدٌ بَذَلُوهُ، وَلا هَدْيٌ نَحَرُوهُ؛ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْهُمْ، يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي خِتَامِ آيَاتِ الْحَجِّ:((لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)). أيّها المسلمون. تَفَقَّهُوا فِي دِينِكُمْ، وَخُذُوا مِنْ مَوَاقِفِ الحَجِّ وَمَشَاهِدِهِ عِبْرَةً وَذِكْرَى، وَاعرِفُوا مَقَاصِدَهُ لِيَكُونَ تَرْبِيَةً لِنُفُوسِكُمْ، وَتَهْذِيبًا لِسُلُوكِكُمْ، وَرُقِيًّا بِأَفْكَارِكُمْ. وَحَقِّقُوا الإِخْلاص للهِ فِي العِبَادَةِ. وَتَحَلَّوا فِي

أَسْفَارِكُمْ بِالأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ، وَتَزَوَّدُوا التَّقْوَى؛ تَسْتَنِرْ بَصَائِرُكُمْ، وَتَجْنُوا ثِمَارَ أَعْمَالِكُمْ. وَاجْعَلُوا مِنْ مَنَاسِكِ الحَجِّ دَلِيلاً عَلَى مَبَادِئِكُمْ وَأَخْلاقِكُمْ، وَاقْتَفُوا فِي ذَلِكَ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم، تُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَسْعَدُوا فِي آخِرَتِكُمْ. ((وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). اللهم اجعلنا ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. اللهم فقهنا في الدين، وعلمنا ما ينفعنا في الدنيا والآخرة، واجعلنا من عبادك الفائزين، اللهم احفظ الْحُجّاج والمعتَمِرين في بَرّك وبحرك وجوّك، واجعلهم متّبعين لشرْعك، مقتدين بنبيّك. صلى الله عليه وآله وسلم. اللهم أعن الحجّاج على أداء الواجب. ووفّقهم لنيل الرغائب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ